مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
تصدر عن جامعة بني وليد – ليبيا
Website: https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
المجلد التاسع، العدد الثالث الصفحات (344-353) 2024م

نموذج البخيل بين الأدب اللاتيني والأدب العربي
(جرة الذهب [أولولاريا]- والبخلاء) مقاربة تطبيقية

د. صفاء آدم عبد الكريم
قسم اللغة العربية ، كلية الآداب البيضاء، جامعة عمر المختار، ليبيا
safa.adam@omu.edu.ly

The Miser Archetype in Latin Literature and Arabic Literature
(The Pot of Gold [Aulularia] – and The Misers) An Applied Approach

SAFA ADIM ABDULKARIM
Department of Arabic Language, Faculty of White Arts, Omar Al-Mukhtar University, Libya

تاريخ الاستلام:26-07-2024 تاريخ القبول: 14-08-2024 تاريخ النشر : 04-09-2024

الملخص:

البحث الموسوم ب "نموذج البخيل بين الأدب اللاتيني والأدب العربي (جرة الذهب والبخلاء)"، يتعرّض بالدراسة والتحليل لأنموذج البخيل، بين الأدبين العربي واللاتيني، باستخدام المنهج التحليلي والمنهج المقارن لبيان أوجه التأثير والتأثر والمشابهة والاختلاف بين بخيل الجاحظ وبخيل بلاوتوس. اعتمد البحث مقدمةَ عرضتْ أهمية البحث ودوافعه ومنهجه، وتمهيدًا عن أثر الثقافة الرومانية واليونانية على الأدب العربي.

الكلمات الدالة: نموذج البخيل. الجاحظ. بلاوتوس. جرّة الذهب. أولولاريا. كتاب البخلاء. الأدب اللاتيني. الأدب العربي.

Abstract

The research entitled “The Model of the Miser between Latin and Arabic Literature (The Jar of Gold and the Misers)” examines and analyzes the model of the miser, between Arabic and Latin literature, using the analytical method and the comparative approach to show the aspects of influence, influence, similarities and differences between the miser of Al-Jahiz and the miser of Plautus. The research adopted an introduction that presented the importance of the research, its motives and methodology, and an introduction to the impact of Roman and Greek culture on Arabic literature.

Keywords: *Scrooge model. Al-Jahiz. Plautus. Gold jar. Olularia. The book of misers. Latin literature. Arabic literature.*

المقدمة

ظهر أنموذج البخيل في العديد من الأعمال الأدبية على مر العصور، وفى مختلف الثقافات، فهو نتاج تصوير يقوم به الكاتب لخلق شخصية متكاملة ومميزة ومقنعة، فالبخيل يندرج ضمن مجال النماذج البشرية التي تعد إحدى مجالات البحث في الدراسات المقارنة.

إنّ هذا البحث يتعرّض بالدراسة والتحليل لأنموذج البخيل بين (جرة الذهب والبخلاء)، لبيان أهم أوجه التقاطع والاختلاف بين هذين الأدبين في تناولهما لشخصية البخيل.

دوافع اختيار الموضوع وأهميته:

محاولة الوصول إلى التقاء الجاحظ وبلاوتوس في قواسم مشتركة تبرهن على تقاطع الأدب العربي مع ما أنتجته قرائح الأدباء الرومان، وكذلك الرغبة فى الحصول على نتائج تبيّن أنّ الآداب العالمية تربط بينها عملية تشرّب النصوص، وإبراز مواطن التأثير والتأثّر وأوجه الاختلاف والتشابه بين الأدبين العربي والروماني.

الدراسات السابقة:

اعتمد البحث المصدر الأساسي للنصوص العربية والرومانية، كالبخلاء للجاحظ، تحقيق طه الحاجري، وجرة الذهب (أولولاريا) لبلاوتوس، تحقيق عبدالمعطي الشعراوي؛ لكن أغلب الدراسات اختصت بدراسة نموذج البخيل عند الجاحظ والأديب الفرنسي موليير، أمّا هذا البحث فيهدف إلى إبراز صورة البخيل بين الأدبين العربي والروماني "اللاتيني"، من خلال نموذج بخيل بلاوتوس، ونماذج من بخلاء الجاحظ.

المنهج المتبع في الدراسة:

اقتضتْ طبيعة الموضوع أنْ يكون منهج البحث المنهج التحليلي، لأنه الوسيلة المثلى لتحليل صورة البخيل في الأدبين العربي واللاتيني، والمنهج المقارن لتحديد أوجه الاختلاف والتشابه بين البخيل عند الجاحظ وبخيل بلاوتوس.

الخطة:

اعتمد البحث مقدّمة عرضت دوافع اختيار الموضوع وأهميته، والمنهج المتّبع والدراسات السابقة، وتمهيدًا تناول أثر الثقافة اليونانية والرومانية على الأدب العربي.

تناول المبحث الأول: الجاحظ وبلاوتوس، وعرض لكتاب البخلاء ومسرحية جرة الذهب، وتطرّق المبحث الثاني إلى المقاربة التطبيقية لبيان أوجه الاختلاف والتشابه في رسم صورة البخيل بين الأدبين العربي واللاتيني، وتناولت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تمهيد: أثر الثقافة اليونانية والرومانية على الأدب العربي

كانت الثقافة اليونانية، كالثقافة الفارسية، مبثوثة بين العرب، فلم تكن الثقافة العربية بمعزل عن التأثير والتأثر بالثقافات الأخرى، بل هي وليدة الاختلاط والتمازج، ويعود ذلك إلى حركة الترجمة التي اتسعت بشكل كبير إبّان الخلافة العباسية، يقول د.شوقى ضيف: "إن الثقافة اليونانية أهم ثقافة أثّرت على الفكر العباسي، ولكن عن طريق النقل والترجمة لا عن طريق اختلاط أصحابها بالعرب، وأيضًا عن طريق ما ألقته من ظلال على الثقافة الهيلينية الشعبية العامة التي كانت سائدة في المنطقة"، (ضيف، 1990، ص96).

ففي العصر العباسي بدت الاتجاهات الفكرية التي عُرفت في الحياة العقلية، بتأثير نقل التراث اليوناني في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، ولكن هذا الارتباط الثقافي يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، ثم التطور الذي حصل من حاجة العرب للعلوم وتشجيع الخلفاء لحركة الترجمة، فمن أشهر المترجمين حنين بن اسحاق ومتّى بن يونس وغيرهم ممن ذكرهم ابن النديم في الفهرست، وكذلك كان للأطباء دور كبير في نقل التراث، يقول ابن أبي أصيبعة: "وكان ممن نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختشيوع"، (ابن أبي أصيبعة، 1882، ص284). ولهذا ازدهرت العلوم والفنون ونبغ كثير من العلماء والشعراء والكتاب، ينهلون من شتى المعارف إبّان ظهور حركة الترجمة، وكان لامتزاج العرب بالأعاجم آثارًا بعيدة في نضج الثقافة وتهذيب الفكر وتطوّره، حيث قام العرب بترجمة الكتب الفارسية واليونانية، يقول د. خفاجي: "أقبلوا عليها بكل ما فيهم من شوق وفهم يترجمونها ويعرّبونها ويضيفون إلى قديمها جديدًا"، (خفاجي، 1992، ص52)، حيث شغف العرب بهذه العلوم والمعارف والثقافات، واتسع عمرانهم وامتد سلطانهم إلى الأمم العريقة في الحضارة كالروم والفرس أصحاب الآداب والمعارف،: "حين نقل أسماء كتب للروم في الأسماء والتاريخ ترجمت للعربية"، (ابن النديم، 1985 ، ص305).

ويذكر الجاحظ ذلك: "أنه كان في اليونانيين ممرور له نوادر عجيبة وكان يسمى ديسموس، والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة، ما من نادرة إلا وهى غرّة وعين من عيون النوادر"، (الجاحظ، 2003، ج1، ص140) .

ولا ننسى أنْ نشير إلى أن الرومان اتخذوا لأنفسهم الحضارة اليونانية منهجًا، فانطبعت بطابعهم وأصبحت تدعى الحضارة الإغريقية الرومانية، ولهذا فقد أثر الأدب اليوناني على الأدب الروماني لأنه كان امتدادًا لهذا الأدب، ومن ثم أثر على الفكر العربي عن طريق الفلسفة، خاصة كتابي (الشعر والخطابة) لأرسطو. وكان من ثمرة هذا التلاقح الحضاري أنْ تغلغلت المعرفة والثقافات الرومانية والإغريقية، وبرزت صفوةٌ من الأدباء و العلماء استطاعت أنْ تسيغ كل ما نُقل إلى العربية من ثقافات متباينة وأنْ تضيف إليها من عقولها، ما دعم الحضارة والثقافة، ومن أمثال هؤلاء الجاحظ الذي استطاع تحصيل معارف كان لها كبير الإسهام في تكوينه العلمي، فأنتج كتبًا من أهمها (البخلاء).

المبحث الأول :- بين البخلاء وجرة الذهب

تعد شخصية البخيل أنموذجًا قديمًا في الأدب العالمي، ترجع بداياتها إلى الرومان الذين أخذوا هذه الشخصية من اليونان، فمن بين الذين برعوا في ذلك بلاوتوس 184 ق.م في ملهاته جرة الذهب (أولولاريا)،: "حيث استطاع إعطاء صورة للبخيل، وقد حاكى فيها شعراء الإغريق أمثال ميناندر الذي كانت له مسرحيات فقدت حول البخيل والبخلاء"، (هلال، 1983، ص164).

لا نعرف سوى القليل عن حياته، حيث ولد بلاوتوس فى قرية صغيرة،: "تدعى سارسينا فوق جبال الأبنين في وسط شبه الجزيرة الإيطالية"، (شعراوى، 2013، ص17).

كان بلاوتوس ذا براعة في إعطاء صورة البخيل حقها، حيث ألف العديد من الكوميديات التي عرفت باسم كوميديات بلاوتوس، يقول د. أحمد عثمان: "إن فارو يحفظ لنا قائمةً بإحدى وعشرين مسرحية هي المتفق على أنها من تأليف بلاوتوس، يطلق عليها اسم المسرحيات الفارونية"، (عثمان، 1989، ص36-37)، منها على سبيل المثال : أمفيرتو - الحمير - جرة الذهب - كاسينا - التاجر - الجندى الشجاع - الفارس وغيرها.

ورغم الفترة القصيرة التي قضاها في ممارسة التأليف الدرامي (205 ق.م – 184 ق.م)، إلّا أنّه أصبح علامة مميزة في تاريخ التأليف الدرامي الروماني؛ ومن أشهر مسرحياته جرة الذهب (أولولاريا)،: "التي ألفها سنة 195 ق.م، وقد حاكاه موليير فى ملهاته الشهيرة البخيل سنة 1668"، (حمدي، 1999، ص94).

استخدم بلاوتوس أنموذج البخيل في مسرحية (أولولاريا) في إطار ما يسمى بالهجاء الاجتماعي للطبقة الوسطى المتهافتة على المال، وكيف ينتصر الصواب والشباب والحب، وينهزم الخطأ والتعنّت، فبلاوتوس لم يكن هدفه إلّا النقد اللاذع للبخلاء فى عصره، حيث استطاع أن يسلط الضوء على بطل الملهاة، فجعلت منه أنموذجًا للبخيل في عصره، فشخصية البخيل عنده انسلخت من كل خلق نبيل، وتحوّلت إلى نفس ماديةٍ ترفض الإنفاق.

موضوع ملهاة جرة الذهب:

إنّ البخيل يوكيلو كان يخبيء ثروته الذهبية في وعاء في منزله ويعيش في فقر، وقد أرشده العفريت لار لهذه الثروة، وخوفًا من أن يظن أحد به الثراء خبّأ هذه الثروة، ويحدث أن يخطب جاره ميجادوروس ابنته فايدرا، وكان ذلك الجار يرغب في الزواج من بنتٍ فقيرة، لكن الأب يتردد لأنه ظن أنْ كنزه قد اكتشف، ثم يقبل بعد تردد، وفي حفل العرس يحضر المدعوون من جانب ميجادوروس فيطردهم يوكيلو، ويرى في كل منهم سارقًا لكنزه، تم يرى ديكًا يحوم حول موضع الكنز فيظن أنه اهتدى لموضع الكنز فيذيجه، ويحمل الكنز خارج المنزل، ويتضرّع للآلهة لكي تحمي ذهبه، فيلاحظه ذات مرة خادم ليكونيديس الذى كان يرغب في الزواج من ابنة البخيل فيعرف من تضرعات البخيل موقع الكنز، ولكن العجوز يشعر به فيطرده ويحمل الكنز إلى الغابة فيتبعه الخادم ويسرق الكنز، فيجن جنون البخيل حين يعلم بذلك ويرجع إلى منزله فيفاجأ بأنّ ابنته عازمة على الزواج من ليكونيديس رغم فقره، وتزول عقبة الفقر حين يحمل الخادم الكنز الذى سرقه مهرًا للفتاة، فيتم الزواج ويعتقه سيده.

أمّا الأدب العربي، وكغيره من الآداب العالمية، فقد كان ثريًا بقصص البخلاء ونوادر الأشحاء، فالجاحظ الذي ارتبط اسمه بالبخلاء لم يكن أول من ابتدع الكتابة عن موضوع البخل والبخلاء، فابن النديم يؤكد أن للموضوع أسلافًا مثل الأصمعي وأبي عبيدة وأبي الحسن المدائني .

إنّ الجاحظ شخصية بارزة في تاريخ الأدب العربي، ذو منزلة عالية، معتزلي، فيلسوف، أديب، وكاتب، كان تلميذًا للنظّام وكان واسع الثقافة، لم يترك ثقافة إلا واطلع عليها، وخاصة اليونانية وما يتصل بها من فلسفة ومنطق.

ولد بالبصرة 151هـ وتوفي 255هـ، استطاع تحصيل معارف جمّة كان لها كبير الإسهام في ثراء إنتاجه الأدبي والمعرفي، حيث أخذ علمه عن خطباء العرب بالمربد، وأجلّاء عصره بالبصرة، فكان مولعًا باقتناء الكتب، كما ألمَّ باليونانية بواسطة علماء الكلام في عصره كحنين بن اسحاق، وبالثقافة الفارسية والهندية من كتب ابن المقفع.

كتاب البخلاء :

يجمع كتاب (البخلاء) بين طابع العمق في الأدب والتخصص في الموضوع، وإشباع الفكرة من جميع جوانبها الأدبية، فأسلوبه تتجلى فيه البراعة في الوصف والدقّة في التصوير، فكل قصة يقدّمها شاهد قوي على قوة تصوّر الجاحظ ودقّة ملاحظته وخصوبة خياله، وعنايته بالتفصيلات التي تجلي الصورة وتبرزها من جميع نواحيها، "اهتم بدراسة نموذج البخيل وفق ما هو سائد في البيئة الاجتماعية في عصره، فالجاحظ لا يسعى للمبالغة والابتعاد عن المعقول،

وإنما يقدّم للمتلقّي ما حدث فعلاً وما يمكن أن يحدث، فهو يلجأ إلى أساليب أخرى أكثر فنية لجذبه"، (حمودة، 2000، ص127) .

استطاع الجاحظ أن ينقل لنا بخل البخلاء وطمعهم في صورة مغايرة تمامًا لما عند بلاوتوس في جو دعابة ومرح وسخرية أحيانًا، ولكن لها أسباب منها الغرض التعليمي، فكان يهدف إلى تخفيف العبء عن كاهل المتعلمين وخاصة الناشئين، "ولن تدري أن المزاح جد إذا اجتلب ليكون علّة للجد، وأن البطالة وقار ورزانة إذا تُكلفت لتلك العاقبة"، (الجاحظ،1990، ص137)؛ فالبخيل عنده يمثّل شرائح من المجتمع على اختلاف طبقاته، منهم العربي والأعجمي ومنهم الذكور والإناث، ومنهم المشاهير والمغمورين ومنهم الفقير والغني، فهم، "يمثلون البيئة الطبيعية كما هي بقدر عالٍ من الانضباط والعقلانية، كما أن دوافع بخلهم مختلفة لكنهم جميعًا توجههم جملة من القيم والأعراف والأخلاق"، (باقادر، 2004، ص115).

استهل الجاحظ كتابه بمقدمة تحدّث فيها عن أحوال البخلاء، وكانت قصص البخلاء عنده نوادر صغيرة، وكان له رسائل عديدة يوردها في كتابه يمدح فيها الجود والكرم ويذم البخل، وقد أفرد قسمًا خاصًا لأطعمة العرب ومنافعها ومضارها، مستشهدا على كل ذلك بأبيات من الشعر .

ومن المقدمة انتقل الجاحظ إلى تدوين رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد بن عمر، حيث ذموا مذهبه في البخل، ثم تحدث الجاحظ عن طرق البخلاء وقصصهم كقصه أبي جعفر ومبالغته في البخل، وقصص الخزامي الذى كان ينصر البخل ويحتج به ويدعو إليه .

ثم تحدث عن رسالة أبي العاص في ذم البخل ومدح الجود، وهي بلغة فخمة العبارات ومدعّمة بالأقوال المأثورة والآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

عرض الجاحظ قصصًا وأحاديث طويلة في كتابه البخلاء مليئة بالنوادر، فقد أعطى صورة واقعية للعصر العباسي حيث صوّر الثراء وأصحاب الحرف بطريقة دقيقة، فبرزت شخصياته بأشكالهم وحركاتهم وأحاديثهم، فكانت واقعية سواء في الجانب المتعلّق بالعادات والتقاليد أم المتعلّق بالهيئات والحركات، أو الجانب المتصل بالتعبير كنوع الكلمات والصيغ المطابقة لواقع الحياة.

المبحث الثاني:- المقاربة التطبيقية

يشكل كتاب (البخلاء) ومسرحية (جرّة الذهب) مَعلمين من معالم الأدب العالمي، حيث تعكسان أنماط الحياة في المجتمع العربي والمجتمع الروماني، وإذا كان الجاحظ قد انتقى بخلائه من الطبقة التي تكالبت على المال، فإن بلاوتوس قد انتقى نموذجه ليجسم شراهة النفس البشرية.

إن بخيل بلاوتوس كان نموذجًا فوق المألوف، إلا أنّ مغالاته في رسم الشخصية يمكن أن نعدها شرطًا لتجاوز الواقع للوصول إلى شخوص قريبة من الواقع، وإلا سيصبح نمطًا مكررًا ونسخةً مبتذلة من الواقع، فيوكيلو لم يكن غنيًا إلا بمحض الصدفة، كان فقيرًا حتى أرشده العفريت لار لمكان الجرّة، فكانت السمة الغالبة عليه هي المنع والكنز وحب المال، حيث خلق نموذجًا شبه متكامل، وضع فيه صفات الجهل والغباء لتخدم بساطة تفكير عصره، فصورة البخيل عنده تصلح لكل بخيل في كل زمان ومكان. إن بخيل بلاوتوس من الطبقة العامة وتبدو عليه السذاجة في بعض

الأحيان، حيث قدّم بلاوتوس نموذجًا واحدًا، حين فقد الكنز أوصل الأزمة إلى أقصى الحدود فارتسمت عوارض كثيرة كنتاج لهذه الأزمة كالصراخ والهياج والضرب والشك في من حوله.

أمّا نماذج الجاحظ فكانت قريبة من الواقع كثيرًا، ذات طبيعة كاريكاتورية اختار نماذجه من الفئة المثقفة وطبقة الوزراء والقضاة والولاة، أي أن صفات نماذجه مرتبطة بالواقع تجتمع صفاتها لتكون نموذجًا تتمثل فيه كل الصفات النفسية للبخيل، فطبيعة البخل منعكسة على سلوكيات بخلائه. بعض من بخلائه لا يستعمل المنطق لتبرير بخله، بينما فئة أخرى تبرر البخل بالمنطق العقلي الذي هو أقرب للتستر على العيوب، فهم مثقفون متكلمون، وقد يتغابى بخيل الجاحظ ولكنه يسارع إلى تبرير ذلك فالفرق يبدو في الطبقة والثقافة .

كما أنّ الجاحظ يصوّر كل بخيل على حدة، ويخلع عليه صفات لا نجدها عند غيره من البخلاء،: "فظاهرة التخصيص والفردية واضحة فيها...ففي قصص المسجديين نجد صورة (زبيدة بنت حميد) غير صورة (أبي محمد الخزامي)، وصورة (صاحب النخالة) غير صورة (مريم الصناع)"، (عفيفي،1971، ص20). كما أنّ نماذجه لا تأبه لأمر بخلها وتعتقد أنه الصواب في علاقاتها مع الآخرين.

قد قدّم الجاحظ صورًا كثيرة وشخصيات متعددة للبخلاء، ونماذجه لم تسقط في الأزمة أوفى المواقف المأساوية، بل تتكتم وتبقى على سجيتها .

إنّ عنصر المبالغة في عرض شخصية البخيل عند الأديبين تبدو لنا ظاهرة، فخبلاؤهم ليسوا بخلاء عاديين، ولكن الغلو في التصوير كان وسيلتهما للوصول إلى أعماق النفس.

لقد تضمّنت نماذج بخلاء الجاحظ وبخيل بلاوتوس ملامح مشتركة لا تخرج عن دائرة الجمع والكنز والطمع، وقد حاول الأديبان إبراز سمة الفكاهة والسخرية، وإخفاء الهدف الوعظي من وراء ذلك.

يلتزم البخيل عدم الإنفاق والمبالغة في البخل، فهو يخاف أن يصبح معدمًا، فبخيل الجاحظ يوصي أبناءه أن يكونوا مثله، حيث يروي في البخلاء، عن عبدالرحمن الثوري قوله: "أي بُني عوّد نفسك على الأثرة، ومجاهدة الهوى والشهوة، واعلم أنّ الشبع داعية البشم (التخمة)، وأنّ البشم داعية للسَّقم، وأن السّقم داعية للموت"، (الجاحظ، 1990، ص7).

تتكرر هذه النصائح عند يوكيلو في جرة الذهب، فهو يملي على خادمته بعض الأوامر إمعانًا في البخل:

"إحذري أنْ يتسلل شخص غريب إلى داخل البيت وإذا كان أحد يبحث عن قبس نار

فإنني أريدك أن تخمديها حتى لا يجد مبررًا لكي يصل إليك بسببها.

.....

وإن طلب منك أحد جرعة ماء قولي له

إنّ ما عندنا من ماء، قد نفذ"، (بلاوتوس، 2013، ص146).

ويُسيء بخيل الجاحظ الظن بمن حوله، حتى إنه يوصي ابنه بضرورة الحذر من الناس، وإساءة الظن بهم وبنفسه كما فعل (خالد بن يزيد) حينما قال: "ليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس، فإنهم على يمينك، وسمعك على بصرك، وخِف عباد الله على حسب ما ترجو الله"، (الجاحظ، 1990، ص74).

وفي موضع آخر يصادفنا (الخزامي) الذي يحذر من أطماع الناس فيه: "كنت أظن أن أطماع الناس قد صارت بمعزل عني، وآيسة مني، وإني قد أحكمت هذا الباب وأتقنته، وأودعت قلوبهم اليأس، فأراني واحدًا منهم كل متربص محتال، وأنّ من أسباب إفلاس المرء أطماع الناس فيه، لأنهم إذا طمعوا فيه احتالوا له الحيل ونصبوا له الشرك"، (الجاحظ، 1990، ص90).

يناظر هذا ما يقوله يوكيلو عن خادمته، والتي يظن أنها تعرف أين يخفى مكان الذهب:

"إنني لم أر قط أحدًا أكثر جرمًا

من هذه العجوز الشمطاء

بل إنني أشعر نحوها بخوف شديد

إذ أنها قد تستخدم – على غرة–

ضدي حيلة ماكرة

وتشم رائحة المكان الذي أخفي فيه الذهب"، (بلاتوس، 2013، ص143).

وازداد سوء ظنه بمن حوله، حينما أراد ميجادوروس طلب يد ابنته للزواج، حتى أنه حدثته نفسه بأن ميجادوروس ربما يعلم مكان كنزه وأراد سرقته :

"ميجادوروس: كيف حالك ؟ هل أنت بخير؟

يوكليو (لنفسه): إنها ليست مصادفة أن يتحدث غني إلى

فقير برقة بالغة

إن ذلك الرجل يعلم أنني أملك ذهبًا

لذا يحيينى برقة بالغة"، (بلاوتوس،2013، ص157).

ولا يتوانى بخيل الجاحظ في استخدام الحيل من أجل الحصول على المال، وبأي وسيلة مهما بلغ الأمر عنده من هوان النفس، فالمال عنده أكبر من ذلك ولا يهمه بأي طريقة معينة سيحصل عليه، ففى البخلاء نقرأ كلامًا لخالد بن يزيد يقول: "أنا لو ذهب مالي لجلست قاصًا، أو طفت في الآفاق، كما لو كنت مكديًا (محتالاً) .... إن سألت عيني الدمع أجابت ..... أو خرجت قاطع طريق"، (الجاحظ، 1990، ص73).

يشبه هذا ما نجده عند يوكيلو في مسرحية جرة الذهب، حينما أراد الحصول على المال من زعيم عشيرتهم:

"أعلن زعيم عشيرتنا

أنه سوف يوزع على كل فرد عددًا

فإن لم أذهب هناك وأطالب بنصيبي

فسوف يعتقد الآخرون أنني أملك

ذهبًا في بيتي"، (بلاوتوس، 2013، ص147 – 148).

وتسيطر على البخيل حالات من الشك والهوس المفضية إلى الصراخ والمعاملة السيئة خوفًا على المال، ففى البخلاء نجد قصة عن العنبري مع جارية أمّه حينما امتنع عن إعطائها بعض الماء، (الجاحظ، 1990، ص113): "كنت يومًا عند العنبري، إذ جاءت جارية أمّه ومعها كوز فارغ، فقالت: قالت أمك بلغني أنّ عندك مزملة، ويومنا يوم حار

ابعث إليّ بشربة منها فى هذا الكوز، قال: كذبت، أمي أعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونرده ملآن، اذهبي فاملئيه من ماء حبكم، وفرغيه في حبنا، ثم املئيه من ماء مزملتنا، حتى يكون شيء بشيء ."

يتكرر هذا المشهد في جرة الذهب حينما شك يوكيلو في خادمته ستافيلا، يقول :

"إلى الخارج أقولها اخرجي ، بحق هرقل غادري المكان

يالك من جاسوسة ذات عينين متلصّصتين

تخرج ستافيلا من بيت يوكليو .... يطاردها يوكليو غاضبًا ..

يحاول أن يضربها لكنها تهرب .."، (بلاوتوس، 2013، ص41).

وتتجلى عاطفة البخل بشكل مكشوف على بخلاء الجاحظ، لدرجة الإخلاص للماديات حتى تتصدّع الروابط الأسرية، ففي كتاب البخلاء نجد قصة مريم الصنّاع التي زوّجتْ ابنتها ولم تتجاوز (اثنى عشرة) سنة للتخلص من نفقاتها،: ".... زوجت ابنتها، وهي بنت اثنى عشرة سنة .... كستها المروي والوشي ...ودقّت الطيب، وعظمت أمرها .... ورفعت من قدرها عند الأحماء "، (الجاحظ، 1990، ص30).

وفي جرة الذهب يهمل يوكليو ابنته فايدرا حينما عرض عليه ميجادوروس التكفّل بنفقات الزواج:

"يوكيلو: لماذا تطلب ابنتى للزواج

ميجادوروس: لكي تصبح حياتي أفضل بفضلك.

.....

عدني أن تزوجها لي

يوكيلو: لكنى لن أدفع شيئًا كصداق

ميجادوروس: لا تدفع شيئًا"، (بلاوتوس، 2013، ص161 –162).

ويصرّ يوكيلو على بخله فيقول:

"عليك أن تتذكر ما قلته لك .

لا تدفع ابنتي لك أى مبلغ كصداق مطلقا "، (بلاوتوس، 2013، ص161 –162).

ومن أبرز المبالغات والتي يظهر فيها البخيل شديد البخل بشكل لافت ما فعله الشيخ المسجدي الذي استغل ماء الاغتسال،: " كثيرًا ما نغتسل بالعذب ..... فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلًا، ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح، فعمدت إلى ذلك المتوضّأ فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة، وصوّبت إليها المسيل فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافيًا لم يخلطه شيء"، (الجاحظ، 1990، ص29).

وتصادفنا صورة أخرى للمدائني الذي أمر أهله بالاغتسال على التراب كي يبتل ويصنع به اللبن: ".... إذا بقى التراب خالصًا، وأراد أن يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة إليه، لم يتكلف الماء، ولكن يأمر جميع من في الدار أن لا يتوضّؤوا ولا يغتسلوا إلا عليه، فإذا ابتل ضربه لَبِنا، وكان يقول من لم يتعرّف الاقتصاد تعرفي فلا تتعرض له"، (الجاحظ، 1990، ص143).

يشبه هذا – إلى حد ما – حرص يوكيلو على التنفس وامتناعه عن التخلص الماء الناتج من الاستحمام، نقرأ في جرة الذهب:

"بيثوديكوس: عندما يذهب للنوم، فإنه يربط كيسًا حول حنجرته.

انثراكس: لماذا ؟

بيثوديكوس: حتى لا يفقد نفسًا من أنفاسه في أثناء النوم.

.....

بيثوديكوس: وحتى إذا قلت لك

أيضًا أنه بعد ما يستحم فإنه يرفض أن يلقي

بالماء الناتج عن الاستحمام"، (بلاوتوس، 2013، ص171–172).

يمكننا القول أن الجاحظ وبلاوتوس أديبان عالميان، تكمن عالميتهما في تناول أنموذج بشري، استطاعا إبراز صورته بطريقة مبدعة حتى أصبح البخيل أنموذجًا إنسانيًا يتكرر في كل زمان ومكان، مما يجعل أدبهما لا يصنّف بالأدب القومي، بقدر ما ينظر إليه على أنه أدب عالمي.

الخاتمة

توّصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. يشكّل كتاب (البخلاء) للجاحظ، ومسرحية (أولولاريا – جرة الذهب) لبلاوتوس مَعلمين من معالم الأدب العالمي، حيث تعكسان أنماط الحياة في المجتمع العربي والمجتمع الروماني.
2. يبدو الاتفاق بين بخيل الجاحظ وبخيل بلاوتوس في عنصر المبالغة في عرض الشخصية، حيث تضمّنت نماذج بخلائهما ملامحًا مشتركة لا تخرج عن دائرة الطمع والكنز.
3. سيطرة عاطفة البخل بشكل مكشوف على بخلاء الجاحظ وبخيل بلاوتوس لدرجة الإخلاص للماديات، والتزام عدم الإنفاق خوفًا من الفقر، وسوء الظن بمن حولهم، واستخدام الحيل للحصول على المال، ولو وصل الأمر إلى هوان النفس.
4. أما الاختلاف فالجاحظ يصوّر كل بخيل على حدة، ويخلع عليه صفاتٍ لا نجدها عند غيره من البخلاء، وكانت نماذجه قريبة من الواقع من طبقات متعددة وثقافات متنوعة، أما بخيل بلاوتوس فهو صورة غير واقعية من الطبقة العامة، تجتمع فيه صفات الجهل والغباء والسذاجة، فقد قدّم بلاوتوس نموذجًا واحدًا يصلح لكل زمان ومكان.
5. يمكننا القول أن الجاحظ وبلاوتوس أديبان عالميان، تكمن عالميتها في تناول أنموذج بشري استطاعا إبرازه بصورة مبدعة مما جعل أدبهما ينظر إليه على أنه أدب عالمي

المراجع:

ابن أبي أصيبعه، أحمد بن القاسم. (1882). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. صححه امرؤ القيس بن الطحان.ط1. المطبعة الوهبية.

1. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق. (1985). **الفهرست**. (تحقيق) عباس، ناهد. ط1. دار قطري بن الفجاءة.

2. الجاحظ، أبوعثمان عمر بن بحر.(2003). **الحيوان** . (تحقيق). الشامي، يحيى.ط1، دار ومكتبة الهلال.
3. الجاحظ، أبوعثمان عمر بن بحر.(1990). **البخلاء**. (تحقيق) الحاجري، طه. ط5. دار المعارف. القاهرة.
4. باقادر، أبوبكر أحمد. (2004). **قراءات في علم اجتماع الأدب** . ط1. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، السلسلة:(قضايا إسلامية معاصرة). بيروت.
5. بلاوتوس، تايتوس ماكيوس. (2013). **جرة الذهب (أولولاريا)**. (ترجمة) الشعراوي، عبد المعطى. سلسلة من المسرح العالمي. المجلس الوطني للثقافة الفنون والأدب. الكويت.
6. حمدي، محمد بركات. (1999). **دراسات في الأدب**. ط1. دار وائل للطباعة. الأردن.
7. حمودة، ماجدة. (2000). **مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن**. ط1. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. سورية.
8. خفاجي، محمد عبد المنعم. (1992). **الآداب العربية في العصر العباسي**. ط1. دار الجيل. بيروت.
9. ضيف، شوقي.(1990). **تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي**. ط 7. دار المعارف. القاهرة.
10. عثمان، أحمد. (1989). **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**. عالم المعرفة. الكويت.
11. عفيفي، محمد الصادق. (1971). **نموذج البخلاء في الأدب العربي والأدب الفرنسي**. ط1. دار الفكر. الجزائر.
12. هلال، محمد غنيم. (1983). **الأدب المقارن**. دار العودة. القاهرة.